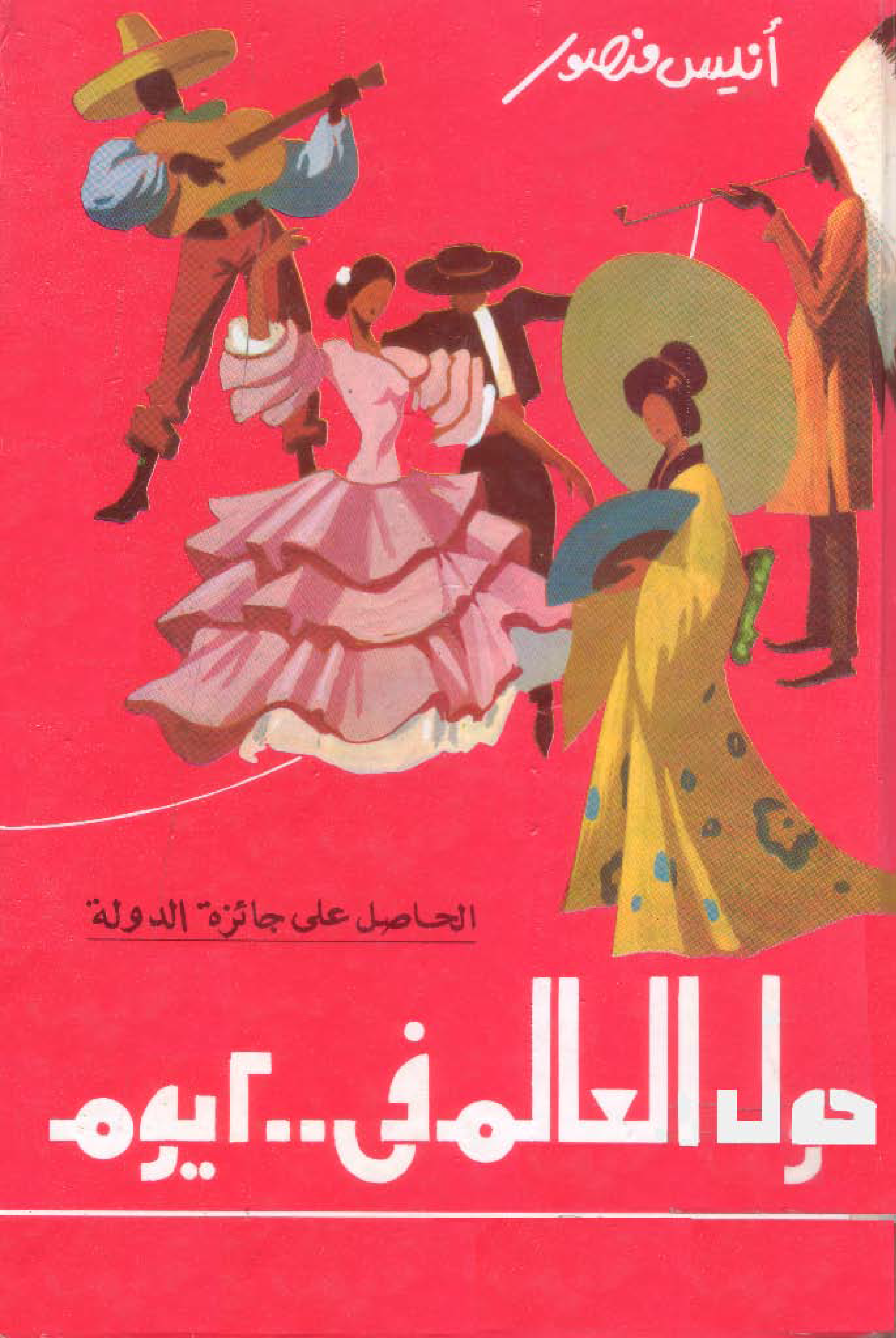


أنيس منصور
الحاصل على جائزة الدولة
حول العالم فى ٢٠٠ يوم

● ﭼﺎﻻن .. كون ؟!

أعتذر عن عدم ذكر أسماء السادة المحترمين الذين اشتركوا فى حضور هذه الجلسات فقد وعدت . . ووعد الصحفى دين عليه . . لقد كان السفير .. والملحق العسكرى والملحق الصحفى والملحق الثقافى وزوجاتهم . .

والمهم أننى رأيت بعينى ولم أسمع وقد بدأ الفأر يلعب فى عبى فعلا.وبدأت أرى أن لعب الفأر معقول . ولم أعد أحاول أن أجعل من أفكارى مصايد لهذا الفأر ، بل إننى أحاول أن أخطط عبى ليلعب الفأر على أسس رياضية صحيحة !

ولا أريد أن أؤثر فى أحد قبل أن أروى الأشياء الغريبة التى رأيتها وحاولت أن أفهمها . ولم أصل بعد إلى رأى .

يظهر أن هناك روحاً أو نفساً أو شيئاً مختلفاً عن الجسم . وإلا فما هو الفرق بين الميت والحى . هناك فارق طبعاً . هو هذه الحياة . ولكن ما هذه الحياة ؟ نقول : نشاط . . طاقة . . حرارة . دورة للدم . . تفاعلات مستمرة . . لا تتوقف ليلا ونهاراً .

ويظهر أن هذه الحياة أو النفس أو الروح لها وجود حقيقى خارج جسم الإنسان .. ولكن عندما تخرج أو تطرد أو تنطلق من الجسم فإنها تبقى متأثرة بهذا الجسم . فالجسم يشبه الثوب . وإذا كان الثوب مبللا فسيترك أثره فى الروح. وإذا كان من الحرير أو من الشوك أو من النار أو من القلق فإن الروح تبقى بعد الموت كذلك .

وإذا أنت حملت حقيبة ثقيلة لمدة ساعة أو خمس ساعات . . ثم وضعتها على الأرض ، فإن ذراعك ستبقى متعبة كأنك لم تضع الحقيبة بعد . وإذا أنت ركبت باخرة يوماً أو شهراً أو خمسين عاماً متواصلة . ثم نزلت منها إلى الشاطئ فستشعر بعد هبوطك إلى الشاطئ أن صوت البحر مايزال فى أذنيك وأن الأرض ما تزال تهتز تحتك . .

ويبدو أن هذا هو الذى يحدث للروح . . فهى تعيش فى سجن اسمه الجسم . وكل خلية حية فى هذا السجن عبارة عن قيد، عن سلسلة.. إنها ملايين السلاسل لمئات الألوف من الساعات . . فإذا تم الإفراج عن الروح بالموت ، فسيبقى أثر هذه السلاسل ، هذه القيود ، وستبقى الروح متأثرة بهذه القيود، بهذه الحياة التى قطعتها فوق سفينة قلقة . . سفينة بها عشرات الغرائز التى تشبه قطاع الطرق واللصوص . .

يبدو لى هذا . . — وإن كنت لا أعرف التفسير العلمى الدقيق لما رأيت ..

* * *

والآن أدخل فى الموضوع . لقد حدث هذا كله أمس فى مدينة « بوجور » على مسافة ٧٠ كيلو متراً من جاكرتا . . البيت الذى نحن فيه الآن خليط من أبناء دمياط وجاكرتا . وكانت الساعة الرابعة عصراً، وقد علمت أن هذا الوقت غير مناسب لإجراء هذه التجربة: والتجربة اسمها باللغة الأندونيسية « جالان كون » ، ويقال إن معناها « الهيكل العظمى » ويقال ليس لها معنى .

وقد أصدرت الحكومة هنا قراراً صريحاً بتحريم هذه التجربة . فقد شغل بها الطلبة عن مذاكرة الدروس ، وقد تفرغت لها العائلات . وهى فى أندونيسيا أكثر انتشاراً من قراءة الفنجان وفتح الكوتشينة عندنا . .

وفى استطاعتك أن تجربها فى بيتك . . فلم أر أسهل ولا أعجب منها فى حياتى . .

هات سلة . . سلة عادية جداً . وضع فيها خشبة طويلة على هيئة صليب . وضع على هذا الصليب قميصاً . وفى أعلى القميص ارسم صورة وجه على ورقة وضع فى أعلى الرأس عودين من البخور .

ثم ضع فى مقدمة السلة قلماً من الرصاص . ضع القلم بين فتحات السلة . وعليك بعد ذلك أن تحمل السلة أنت وصديق لك على أطراف الأصابع . على أن يمسك زميل آخر بورقة أمام القلم . أطلق البخور. وردد كلمات : جالان كون . . جالان بيس . . ومن الممكن أن تقرأ الفاتحة أو أى كلام دينى . . هكذا سمعت . . .

بعد ذلك ، أى بعد دقيقة سترى السلة تندفع إلى الأمام وتكتب بلغة الروح التى حلت فى هذه السلة .

تستطيع أن تكلمها ، أن تسألها : من أنت ؟

وسترد عليك – كتابة – بلغتها . .

اطلب منها الروح التى تريدها . . ستحضر حالا . .

ومن هذه الأرواح التى رأيت كتابتها روح رجل حشاش توفى فى باب الشعرية اسمه «محمود صالح » .. إنه يروى النكت .. نكتاً قديمة جداً ، لم نسمعها أبداً ، ويبدو أنه كان يعمل كناساً أو بائعاً للخضر فى القاهرة . . . ثقافته لا تزيد على ذلك .

وقد لاحظت أن السلة تكتب بلغة عامية جداً .

ملحوظة : اللذان كانا يحملان السلة اثنان من الأندونيسيين ولا يعرفان كلمة عربية واحدة .

ثم طلب الحاضرون روح السيدة « روز اليوسف » ولم أكن موجوداً . فقد شتمت الحاضرين جميعاً .

وكتبت لهم : مفيش معاكم حد صحفى ؟

فقالوا : لا . . .

كتبت : بلاش لعب عيال . . .

وطلبت منهم أن يصرفوها . . وقالوا لها : انصرفى .

وبعض الأرواح تطلب من الحاضرين أن يأذنوا لها بالبقاء . وبعضها يصر على البقاء .

ومن ضمن الأرواح روح رجل اسمه ناصر الدين . . وهو عصبى .. فهو

يضرب السلة فى وجوه الحاضرين . ويصر أن يكتب دائماً ..

وسئلت إحدى الأرواح : ألا يمكن أن تظهر الروح بدون سلة .

فأجابت : هل يمكن أن تمشى من غير ثوب . . .

طبعاً من الممكن . ولكن الأرواح يبدو أنها لا تعرف كل شىء . . وإنما هى تتحدث بتجاربها السابقة فى الحياة .

* * *

ولا يوجد ممن يعتقدون فى تحضير الأرواح أحد فى أندونيسيا لا يسأل السلة عن صحته وعن حياته .. وعن مستقبله .. وعن مرضه وعن أحوال الناس الآخرين .. ومتى يسافر فلان ومتى تلد فلانة ومتى تتزوج فلانة . . وهل فلان هذا طيب ، وهل زوجته كذلك . .

كل أحوال الدنيا والدين ، الكبيرة والصغيرة يسألون فيها هذه السلة . .

وقد أصدرت الحكومة فى أندونيسيا قراراً بمنع استخدام هذه السلة إطلاقاً ، وكان هذا القرار على أثر حادث غريب . فقد شاهد البوليس ثلاثة من الأطفال يحملون فى أيديهم سلة ويمشون بها فى الشارع وكان ذلك بعد منتصف الليل .

والذى حدث أن السلة كتبت لهم : أريد أن أذهب إلى بيت فلان .

وكان هذا البيت يبعد عن العاصمة عشرة كيلو مترات . ولما ضبطهم البوليس مزق السلة واعتقل الأطفال الثلاثة .

وأصبحت هذه السلة ممنوعة .

* * *

وهناك تجربة أغرب من الحلإن كون بزمان . .

هذه التجربة رأيتها فى بيت أستاذ جامعى تخرج فى جامعات القاهرة : وعاش فى القاهرة عشرين عاماً . والتجربة تحتاج إلى ضبط أعصاب أكثر . .

اقفل الغرفة عليك . واجلس فى الظلام واقرأ أية سورة من القرآن .. ولكن هذا الأستاذ قال لى إنه يجب اختيار بعض آيات من القرآن . وعندما تختارها اطلب من « خادم » الآية أن يحضر .

أما حضور خادم الآية . فقد كان بصورة غريبة . . إنه يضرب أى شىء

فى الغرفة : يزحزح المنضدة أو يضرب الحائط . ولكن لا ترى شيئاً . .

وامسك قطعة من الزجاج الأسود اللون واسأل هذا الخادم أو هذا الجنى أية أسئلة ، وانظر إلى الزجاجة ستجد الكتابة بلون لامع كأنها عقارب الساعة أو كأنها النيون . .

أنا شخصياً رأيت هذا . . فى أكثر من عشرين بيتاً . .

ولم أجد بيتاً واحداً لا تحضر فيه الأرواح أو العفاريت أو الجن المسلمون ويكتبون باللغة العربية . والكتابة واضحة جداً . .

والكثير من الشعب الأندونيسى يؤمن بهذه الظواهر ويستخدمها فى حياته اليومية . .

قال لى هذا الأستاذ الجامعى أمام كل أعضاء السفارة العربية هنا . . إنه يستطيع أن يجرى هذه التجربة أمامى . وأنه يستطيع أن يكسر رجل أى إنسان الآن،وأنه يستطيع أن يكسر رجل أى حيوان بعد جلسة واحدة فى غرفته هو .

بل إنه ذهب إلى إجراء تجربة على أحد أعضاء السلك الدبلوماسى العربى دون أن يقول له . . أو دون أن يعرف . ولكن التجربة كانت قاسية فأشفقنا منها . . لقد طلب منا أن نوافق على أن نجعله يوقظ هذا الدبلوماسى العربى فى ساعة محددة من الليل . ويجعله ينهض من الفراش ويمسك ورقة وقلماً ويكتب رسالة نعرفها نحن مقدماً .. ويذهب بالرسالة ويضعها فىمكان معين نعرفه نحن.. كل هذا وهو لا يعرف .

ورفضنا . . ولكنه يؤكد أنه يستطيع ذلك . . ويؤكد ألوف الأندونيسيين أنهم يفعلون ذلك فى بيوتهم .

والزوج الذى يعرف أن زوجته تشتغل بتحضير الأرواح يخشى على نفسه منها . ولذلك يشتغل هو أيضاً بتحضير الأرواح ويسخر روحاً خاصة لحمايته من زوجته .

إننى لم أسمع مثل هذا العدد من قصص الأرواح فى حياتى كلها .

* * *

أما النوم بعد هذه القصص ، وأما الراحة بعد هذه الظواهر الغريبة المفزعة ،

فخرافة . . النوم هو أصعب شيء ولكن هؤلاء الناس ينامون وبعمق .. أما أنا فكان الله فى عونى !

وظلت السلة حائرة بين أيدينا طول الليل . . أو على الأصح ظلت الأرواح حائرة بين أيدينا طول الليل . . وكلنا يستدعى موتاه أو أقارب موتاه وينتظر وتهتز السلة وتترنح . . ويكتب القلم بلغة لا يعرفها الاثنان اللذان يحملان السلة .

واستدعينا سعد زغلول وبتهوفن وسيد درويش ونابليون وشفيقة القبطية وسارة برنار . .

والسلة عادة تأخذ الأوضاع التى تناسب الروح التى تحل بها . .

فعندما ظهرت روح بتهوفن اعتدلت السلة وراحت ترتجف بجنون . والذين يقولون « بجنون » يعرفون أن بتهوفن قد وصل إلى حالة الصمم التى أفضت إلى الجنون . . طبعاً واحد موسيقار مثل بتهوفن يصاب بالصمم لابد أن يؤدى به ذلك إلى ما يشبه الجنون أو الجنون نفسه !

وعندما استدعوا روح شفيقة القبطية يؤكدون أن السلة كانت ترقص . على واحدة ونص . . أنا شخصياً لم أتبين ذلك بوضوح وإن كنت لا أستبعد .
وعندما ظهرت روح نابليون كانت السلة ثقيلة وشامخة كأنها مدفع . وأحس اللذان يحملان السلة بشيء من القرف كأنهما يريان خيول نابليون تدوس حرمات المساجد فى القاهرة !
وسيد درويش عندما حل فى السلة مالت إلى جانب ثم عادت واعتدلت وتساقطت على الجانب الآخر . . وتدلى القلم من السلة كأنه الغابة التى توضع فى الجوزة . . ويستنتجون من ذلك أنه صحيح أن سيد درويش كان يتعاطى المخدرات وأن الرجل لم ينكر ذلك عندما استدعوه !

• • •

لعبة مسلية يلعبها الناس فى كل بلاد أندونيسيا .
أنا رأيت هذه الظاهرة ودارت مناقشات بهذا الشكل الغريب ودهشتى لم تنته..
وقد لاحظت السلة دهشتى واستنكارى . . وثارت وطالبت بإخراجى

من الغرفة . وقالت إن وجودى يضايقها . .

وقلت : إن حركتها تضايقنى وتجعلنى أشعر بشىء من القرف هو خلاصة الخوف والدهشة والاحتقار لها ولنفسى إذا صدقت شيئاً من هذه الخرافات .

ولكن كل هذا الكلام قرأته مكتوباً أمامى . .

فهاتوا « الثبت » — وهى كلمة عربية فصيحة ومعناها « السبت » أى السلة والقلم واسألوها أنتم !

* * *

اليوم ١٨ أغسطس . . .

أحسست فجأة أنه لم يعد عندى ما أقوله . . خلاص . . القلم ريقه نشف والدنيا أمامى كلها بيضاء . . لقد تعبت عيناى من القراءة والكتابة . . كل شىء أبيض كأننى كنت أغمس القلم فى سواد عينى . . فلم يعد سواد .

كنت إذا جلست إلى المكتب أحس أننى بكرش من كثرة المعلومات التى عندى . أما الآن فإننى أرى المكتب يزحف على بطنى ويفصله عن جسمى فأحس كأننى تمثال نصفى استقر فوق الورق لا يكتب ولا يقرأ .

ولكن لابد أن أكتب . . لابد أن أقول شيئاً . . إن كل ما فى رأسى هو بقايا أشياء . . فى رأسى طفاية سجاير وكل ما فيها أعقاب . . رأسى براد شاى شربوه ، لم يبق فيه إلا التفل . . وقلمى هذا هو « بزبوز » البراد . . إنه مسدود.. وبين الحين والحين تنزل قطرة .

إنى أكتب هذه السطور وأبتسم . .

إنها ابتسامة رجاء ، ابتسامة دعاء ، ابتسامة توسل . . ابتسامة هى بقايا ثقة فى النفس . . ابتسامة الشحاذ للمارة فى الشارع . .

ولكن ولا فكرة فى رأسى . .

إنها ابتسامة تشبه اللمعان والبريق الذى يسبق التقاط الصور . . ابتسامة تضىء لأفكارى الطريق إلى الورق .. ابتسامة أطلقها قبل التقاط أفكارى الهاربة .

إن قلمى يلتوى فى يدى . . وهذه الابتسامة تشبه «الجوهرة» التى تخرج من فم الثعبان لتضىء له الطريق إلى أوكار العصافير . .